11

أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

The Foundations of the Theory of Systems According to Abd Al - Qaher Al- Jurjani

أ.د. محمد أحمد الأمين

أستاذ البلاغة والنقد

جامعة الجزيرة/ كلية التربية حصاحيصا

د. بابا أبكر عمر

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

المستخلص

نظرية النظم نظمت تفكير البلاغيين كالرازي وابن الزملكاني كما يظهر في مؤلفاتهم، والمفسرين كالزمخشري في كشافه . استطاع عبد القاهر الجرجاني بفكره الخلاق أن يستفيد من جهود السابقين، حيث استقى هذه النظرية من أسس وضعت ممن سبقه من العلماء، وقد بنى نظريته على النظم والترتيب والموقع ثم الصياغة والتعليق. وهدفت الدراسة لمعرفة روافد وأسس أعانت عبد القاهر الجرجاني في الوصول لهذه النظرية التي تعد توظيفاً عقليا ومنطقياً لجهود تناثرت بين معارف شتى كالنحو وعلم اللغة والأدب وأولها مدرسة الإعجاز القرآني. والوقوف على تأثير النظرية على المؤلفات اللاحقة لها. ونهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي. ومن نتائج هذه الدراسة إن الروافد والأسباب، التي أستخرجها عبد القاهر الجرجاني من العلم اللغوي، وهو ما أطلق عليه اسم (نظرية النظم)، والتي استكمل فيها كل النقائص التي تركها النقاد والبلاغيون، وأن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق. وتكون الميزة البلاغية في المعني الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص، ورتبت ترتيبا معلوماً، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيها في النفس. وأوصت الدراسة بالوقوف على ما يمكن أن يكون من أسس لها سهم في بناء النظرية كمترجمات اليونانيين في مختلف العلوم، تأثير مدارس المتكلمين المحتملة في تأسيس النظرية، الاستفادة من منهج الجرجاني في النظر النقدي للأدب.

الكلمات المفتاحية: عبد القاهر الجرجاني ، نظرية النظم ، البلاغة .

Abstract

The theory of (ALNuzum) has organize the thinking of other language experts as (ALRazi) and (Abn Zamalkani) as it shows in their scriptures translators as (ALzamarchari) in (ALkashaf) (Abd ALqaher Aljarjani) succeed in the idea of conflict in talking the benefits of previous scientist. As he elaborate his theory using organization, order, location, text analysis, comments. The aim of the study was to identify the sources and roots that (Abd ALqaher) used to reach the essence of his theory which is consider application of mental and logical efforts that spread around different knowledge as (Nahu), language science, grammar, and rules the first was Quran miracles school. To contemplate the effects of this theory on other studies that was attached to it.The approach of this study is

descriptive. The result of this study states that sources and Cayuse that was extracted by (Abd ALqaher) from language science, which he called the theory of (ALNuzum) he successfully completed the gaps left by critisizer and language experts,The matter of (Nuzum) is matter of grammar and rules.From all aspects and difference the advantage of (Balaghaa) is meaning given by numerous words that was created by special means. And was constructed In anticipated order of names in dialogue is according to their meaning.The study recommend same recourses that contribute in the construction of the theory as Greeks scripture. Books in various sciences.The effects of public speakers school. In the probability of designing this theory and to benefit from (Aljarjani) criticism.

Keywords: Abdul Qahir Al-Jarjani, system theory, rhetoric

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبه نستعين ، والصلاة والسلام على خير خلق الله وصفوة أنبيائه محمد – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه، ومن تبع دينه إلى يوم الدين.

أما بعد:

بنى عبد القاهر الجرجاني نظريته في النظم على عدة أسس، وتلك النظرية هي التي خطى بها خطوات جديدة ووضع منها قواعد ثابتة وخدم بها اللغة والأدب ودفع بها نحو التطور والتجديد.

أهداف الدراسة:

جاءت الدراسة ساعية إلى معرفة أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، والوقوف على مزايا هذه النظرية.

الوقوف على أسس نظرية النظم وأثرها في الدراسة البلاغة.

– تحديد علاقة نظرية النظم بمدرسة إعجاز القرآن وتفسيره.

– التعرف على الروافد التي استمد منها عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم.

تأثير هذه النظرية على المؤلفات اللاحقة لها.

* **منهج الدراسة:**

– نهجت هذه الدراسة المنهج الوصفي .

* **الدراسات السابقة:**

– سلايم جوهرة وعامر صارة ((النظم بين القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني)) رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي، مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية– 2018– 2019م،الجزائر.

– سفيان عيساوية ((مصطلح التعليق في الدرس اللغوي القديم –عبد القاهر الجرجاني أنموذجا–))– رسالة ماجستير في اللغة، مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان– الجزائر.

أسس نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

بنى الجرجاني نظريته في النظم على عدة أسس أهمها:

أولا: النظم

يعتبر النظم خلاصة لما ذكره عبد القاهر الجرجاني، في تصور للعلاقات النحوية بين الأبواب كتصور العلاقة بين المسند والمسند إليه، وغيرها من العلاقة النحوية الكثيرة[1].

ويقول عبد القاهر الجرجاني في كتابه ((دلائل الإعجاز)): "إذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معان النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شانها أن تكون فيه، فاعلم أن فروق الوجوه، ليس لها غاية نقف عندها، ونهاية لا نجد لها ازديادا بعدها"[2].

أما المزية هذه فهي نتاج الأغراض والمعاني التي في الكلام حسب استعمال بعضها مع بعض وموقع بعضها من بعض، كما يقول الجرجاني: "وأعلم أنه وإن كانت الصورة في الذي أعدنا وأبدأنا فيه من أن لا معنى للنظم غير أن توفي معاني النحو فيما بين الكلم قد بلغت في الوضوح والظهور والانكشاف إلى أقصى غاية، وإلى أن تكون الزيادة عليه؛ كالتكلف لما يحتاج إليه، فإن النفس تنازع إلى تتبع كل ضرب من الشبهة"[3].

لو نظرنا إلى ما ذهب إليه الجرجاني من النظم؛ فإنه للمعاني النحوية في نفس المتكلم لا بناء الكلمات في صورة جملة.

ثانيا: الترتيب

وقد خلص عبد القاهر الجرجاني أن الميزة البلاغية تكمن في المعني الذي تحدثه الألفاظ إذا ألفت على ضرب خاص، ورتبت ترتيبا معلوماً، بحيث يقع ترتيب الألفاظ في الكلام على حسب ترتيب معانيها في النفس. وهذه المعاني يكون ترتيبها في النفس على ما يقتضي النحو ليثبت أن النظم هو ترتيب معاني الألفاظ وتواليها في النطق[4]، وفي ذلك يقول الجرجاني: "وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس"[5]، ثم قال: "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[6]. إن الترتيب عنصر مهم من عناصر نظرية النظم، وبه يقاس حسب الكلام، ومثال لسوء الترتيب قول الفرزدق في:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

والواضح في هذا البيت أن هناك أربع مخالفات نحوية هي: تقديم المستثنى على المستثنى منه، والفصل بين مثل و حي، وهما مبتدأ وخبر، وبين حي ويقاربه وهما نعت ومنعوت ولا يفصل بين كل منهما بأجنبي[7].

وقال عبد القاهر الجرجاني موضحا لبيت الفرزدق: "فانظر أتتصور أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه، أو صادفت وحشيا غريبا، أو سوقيا ضعيفاً؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في ذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر؟ فكد وكدر، ومنع السامع أن يفهم بأجزاء تتألف منها صور ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين أوضاعها"[8].

لو تأملنا كلام عبد القاهر جيداً إنه لم يردّ غموض المعني إلى التعقيد اللفظي ، بل رده إلى كون الشاعر لم يرتب الألفاظ في النطق على حسب ترتيب معانيها في نفسه، هذا ما جعل السامع لا يفهم البيت ولا يعي غرضه.

ثالثا: الموقع

للموقع صلة وثيقة مع الترتيب؛ لأن النظم لا يمكن أن يتحقق في الكلام بترتّب المعاني في النفس فقط، بل بمعرفة موقعها في هذه النفس، لذا يقول عبد القار الجرجاني: "وأن العلم بمواقع

المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق حتى إذا ما عبّر عنها صادف كل لفظ موقعه ورتبته تبعا لموقع معناه، ورتبته في النفس"[9].

إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، وإنما تتفاضل من حيث ملائمة الكلمة للمعاني التي تليها. كما يظهر في قول عمر بن أبي ربيعة : الكلمات تروقك و تؤنسك في موضع، ثم تراها تثقل وتوحشك في موضع آخر:

ومن مالئ عينيه عن شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمى[10]

فمن خلال هذا البيت أشارة إلى ضرورة ارتباط المعنى باللفظ، فالألفاظ لا تتحدّ وظائفها ولا قيمتها النحوية في الجملة إلا بموقعها الأخص منها. ولذا قال الجرجاني أيضاً: "فإنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع، وتراها في موضع ليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير"[11].

ويقول الجرجاني: "فإننا نرى اللّفظة تكون في غاية الفصاحة في موقع ونراها فيما لا يحصي من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل ولا كثير"[12].

وهنا يفهم ويستنتج أن الكلمة أو موقعها في النظم مقياس لتحديد المزية والفصاحة عند عبد القاهر الجرجاني.

رابعا: الصياغة

فالصياغة هي العنصر الأساسي في الكلام، حيث يقول فيها عبد القاهر الجرجاني: "وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيّر والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها، إلى ما لم يهتد إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر، والشاعر في توخيه معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم"[13].

إن الصياغة والتصوير هما سبيل الكلام، والصياغة عند الجرجاني دالة على براعة الصور الأدبية، حيث يقول: " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعني الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منها خاتم أو سوار، فكما أنه محال إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته أن تعرف كان الفصل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه، وكما فضلنا خاتماً بأن تكون فضة هذا أجود أو فضة أنفس لم يكن ذلك تفصيلا له من حيث هو شعر وكلام"[14].

ولعبد القاهر الجرجاني أيضا: "فهم خاص للصورة يخالف به مصطلح الصورة بالمعنى الفني الضيق الشائع في مؤلفات نقد الأدب والذي تتدرج فيه وجوه المجاز كالاستعارة والكناية والتمثيل وإنما يستعمله في معنى أعم قريب من استعمال المناطقة وقت يقابلون بينها وبين المادة، وهي عنده من التجريد العقلي يستخلصها الناظر من الأشكال اللغوية المماثلة في النص بعد سيرها النظر والفكر"[15].

ولتوضيح هذا القول يقول معلقا على بيت بشار بن برد:

كأن مثار النفع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل نهار كواكبه [16]

يقو الجرجاني: "فبيت بشار إذا تأمله وجدته كالحلقة المفردة التي لا تقبل التقسيم، ورأيته قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنعه الصانع حين يصنعه الصائغ حين يأخذ كثيراً من الذهب فيذيبها ثم يصبّها في قالب، ويخرجها سوارا أو خلخالا. وإن حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمن يكسر الحلقة ويفصم السوار"[17].

خامساً: التعليق

بنى عبد القاهر الجرجاني نظريته على (التعليق)، وقد اعتبره أساس مهم والذي قصد به: "إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، وتحدّد معاني الأبواب في السياق ويفسّر العلاقات بينها على صورة، أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية"[18].

وهذا ما أكده (الجرجاني) من خلال قوله في كتابه "دلائل الإعجاز"، حيث يقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض"[19]. وقوله أيضاً: "النظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك[20].

وبعد أن ربط (الجرجاني) النظم بالتعليق، وحدّد أقسامه في قوله: "فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي كما تراها معانيه وأحكامه"[21]. ثم قال أيضاً: "هذا السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطئه إن كان خطأ على النظم، ويدخل تحت هذا الاسم ألا وهو معني من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فتزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك

المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب ما أبوابه"[22].

ويظهر من خلال ما ذكره عبد القاهر الجرجاني أنه ينص على معاني النحو وقوانينه وأحكامه الصرفية التي هي ضوابط العلاقات السياقية "التعليق"، وهي مرجع الصحة والفساد.

أما "المزية والفصل، فالكلام رهين هذه الشبكة من العلاقات التي تربط بين وحداته، وكلما كانت هذه العلاقات مطابقة للمعاني النحوية كان الكلام فصيحا، وكلما فسدت فسد وخرج عن أن يكون فصيحاً"[23].

و"العلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي"[24]، كما جاء في قوله تعالى: ((وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ))[25].

ويقول عبد القاهر الجرجاني بخصوص هذه الآية الكريمة : "كيف ؟ وسبب الفصاحة فيها أمور لا يشك عاقل في أنها معنوية (أولها): أن كانت (على) فيها متعلقة بمحذوف في موضع المفعول الثاني، (والثاني): أن كانت الجملة التي هي (هم العدو) بعدها عارية من حرف عطف، (والثالث): التعريف في العدو وأن لم يقل: (هم عدو)[26].

ويحلل عبد القاهر الجرجاني مفترضاً أن الآية جاءت على خلاف الأصل في قوله: "ولو أنك علقت (على) بظاهر، وأدخلت على الجملة التي هي (هم العدو) حرف عطف، وأسقطت الألف واللام من فقلت: "يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو" رأيت الفصاحة قد ذهبت عنها بأسرها، ولو أنك أخطرت ببالك أن يكون (عليهم) متعلقا بنفس (الصحة) ويكون حاله معها كحالة إذا قلت: "صحت عليه" لأخرجته عن أن يكون كلاما فضلا عن أن يكون فصيحا، وهذا هو الفيصل لمن عقل[27].

فالتعلق الذي قصده الجرجاني هو تعلق فيما بين معاني الألفاظ لا فيما بينها أنفسها، ومزية الكلام ترجع إلى الأغراض والمعاني، فترتيب الألفاظ يكون بحسب ترتيبها في النفس وأوضاعها في العقل.

<u>الروافد التي استمد منها عبد القاهر الجرجاني نظرية النظم:</u>

استمد الجرجاني نظريته من روافد كثيرة، حيث استفاد من جهود أئمة سابقين من النحاة والبلاغين، الذين تركوا آثارهم عليه، والذين ساهمت علومهم في بناء نظريته في النظم :

1- اطلاعه على أهم ما كتب في قضية الإعجاز، حيث أخذ منه ما رآه متفقاً مع أصول نظريته

وأضاف إليها الكثير؛ مما جعله بحق صاحب هذه النظرية.

2- ثقافة عبد القاهر الجرجاني النحوية وإمامته في العلم.

3- توجهه النقدي، فقد كان أديباً وناقداً اطلع على ما كتبه النقاد قبله وهضمه، ووقف على الصراع المحتدم بين أنصار اللفظ والمعنى[28].

"فانطلاقا من هذه الروافد والأسباب، أخرج عبد القاهر الجرجاني هذا العلم اللغوي الذي أطلق عليه اسم (نظرية النظم)، والتي استكمل فيها النقائص التي تركها النقاد والبلاغيون قبله؛ حيث جمع الشتات الذي كان سائداً بين النقاد القدامى، الذين فرقوا بين اللفظ والمعنى، وانقسموا إلى طوائف، وكان ذلك من خلال جمعه، وهنا بلغت النظرية ذروتها ووصلت إلى مرحلة النضج"[29].

ومن تلك الروافد التي ذكرت، نتوقف قليلا عند حديث عبد القاهر الجرجاني عن (النظم) ، لنصل إلى رأيه في قضية اللفظ والمعنى، وشأنه في ذلك شأن كل ذهن عبقري، يجد نفسه في ملتقى طرائق التخليل المتنوعة للظاهرة الواحدة.

ومن هذا المنطلق فقد وضع عبد القاهر الجرجاني مفهوماً جديداً للنظم لم يسبقه إليه أحد، حيث يقول في مقدمته: "وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[30].

ومن هنا بدأ الجرجاني بشرح النظم، ويقول: "إنه النظم الذي يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو مجرد ضم الشيء إلى الشيء، كيفما جاء واتفق، وهو نظير للنسج والصياغة، وما أشبه، ومن كل شيء يلاحظ فيه علة لوضع كل جزء حيث وضع وهذا يتطلب أن يرتب القائل المعاني في نفسه، فيجد الألفاظ تترتب بحكم أنها خدمٌ للمعاني ذلك أن يضع كلامه الوضع الذي يقتضيه علم النحو[31].

وجاء عبد القاهر الجرجاني في وقت لم تحسم فيه المعركة بين اللفظ والمعنى التي يقول عنها: "نشأت في جو ديني يدور حول بيان إعجاز القرآن ومرجعه إلى أيهما أسبق" اللفظ أم المعنى أم لكليهما معا؟ ومن ثم فإن عبد القاهر حين يعرض لهذه المشكلة فإنه يصلها بالإعجاز من جديد، بعد أن انفصلت عنه زمنا على أيدي كثير من النحاة والنقاد من أمثال: ابن جني والآمدي والقاضي الجرجاني"[32].

نظرية السياق عند عبد القاهر الجرجاني:

إن نظرية السياق تعتبر من بين العناصر المهمة في عملية التواصل، وتتميز بخصائص تتصل بوضع الخطاب بصفة مباشرة، كما تبرز قيمته أيضا في خطي التأليف والكتابة عامة.

إذ يشكل – إلى جانب التخاطب– أهم مباحث التداولية، نظراً لأهميته في دراسة العلاقة بين الرموز، والعلاقات والمستعملين له[33].

تعريفــه:

جاء تعريف السياق عند جون ديبو J.Dubois بأنه: "مجموع الشروط الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستقبال اللغة...وهي المعطيات المشتركة بين المرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات العامة بينهما"[34].

ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني، قد سبق (جون) في رأيه هذا بمئات السنين ، وقد أكد على هذا في كتابه "دلائل الإعجاز" بشدة، حيث يقول: "اعلم أن هذا أصلا نحو أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من أخر، وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينهما فوائد وهذا علم شريف وأصل عظيم"[35].

وقد ضرب أمثلة ليستدل على صحة عبارته أعلاه بقوله: "والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها لأدّى ذلك إلى مالا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرفها بها، حتى كأنهم لو لم يكونوا قالوا: (فعل، ويفعل) لما كنا نعرف الخبر في نفسه ومن أصله، ولو لم يكونوا قد قالوا: (افعلْ) لما كنا نعرف الأمر من أصله ولا نجده في نفوسنا"[36].

وقد سبقهما إليها أيضاً الخطابي في كتابه "بيان إعجاز القرآن"، حيث يقول في بلاغة القرآن: "إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من اللفظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصُّ الأشكل به، الذي إذا بدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه فساد البلاغة؛ ذلك أن الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأن لكلِّ لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها"[37].

وكان لهذا السياق مسألة الاحتكام، لبيان المعنى الدقيق للآية الكريمة في تفاسير علمائنا الأجلاء؛ قدر لا يستهان به، فترى العبارات مثل: "ويفهم من السياق"، "كما دل عليه السياق"، "ولذلك كان السياق"، عبارة تراها منتشرة بصورة لا حصر لها في ثنايا تلك التفاسير[38].

إن نظرية العامل هي فكرة النحو العربي، وأول ظهورها منذ سيبويه، الذي ثبت أصولها ومدّ فروعها وأحكامها إحكاماً، بحيث أخذت صورتها التي ثبت على مر العصور، وفي دراسة أصول النحو أن هذه النظرية بنيت على فكرة القياس والعلة، التي كانت من فكر أرسطو.

قال تمام حسان في مقدمة كتابه اللغة العربية معناها ومبناها: " رأى عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز أن يتكلم في النظم والبناء، والترتيب والتعليق، وكلها أمور تتصل بالتركيب أكثر من أن تتصل بالمعاني المفردة.

وبعد أن يكشف تمام حسان عن العلاقات السياقية أو التعليق كما يسميه عبد القاهر الجرجاني هو الغاية من الإعراب[39]، ومصطلح السياق قد ورد في التراث العربي، إلا أنه يستعمل استعمالات" سياقية" مختلفة وقابلة لتعدد المفاهيم.

وأما السياق عند العرب المحدثين فهو يستعمل مقابلا للمصطلح بالإنجليزي (Contexte) الذي يراد به: المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية أو غير اللغوية.

قال هال يداي (Halliday): " إن السياق هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوياً، إذ يمثل البيئة الخارجية"[40].

– أما تعريفه في حقل التداولات فنجد "فراسواز أرمنكو" تعتبره الوضعية الملموسة التي توضع وتنظف من خلالها مقاصد المكلمين بحسب المكان والزمان، فهو ما يتمثل في كل ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم دلالة ما يقال. ومن هنا تظهر أهمية السياق وعدم حضوره في عملية نقل المقاصد إلى عدم وضوحها وظهور إبهامات كثيرة فيها"[41].

– وذهب أيضاً "يكونه" في تعريفه للسياق، فقال: "إنه مجموعة الظروف في بعض التي تحف حدوث فعل التلفظ بموضع الكلام... وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق (Contexte)"[42].

– أما تمام حسان يرى أن المقصود بالسياق التوالي ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين:

أولهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق، من هذه الزاوية يسمى سياق

النص.

والثانية: توالي العناصر التي صاحبت الآراء اللغوية، وكانت ذات علاقة بالاتصال[43].

ويوضح تمام حسان أن قرينة السياق على النحو التالي

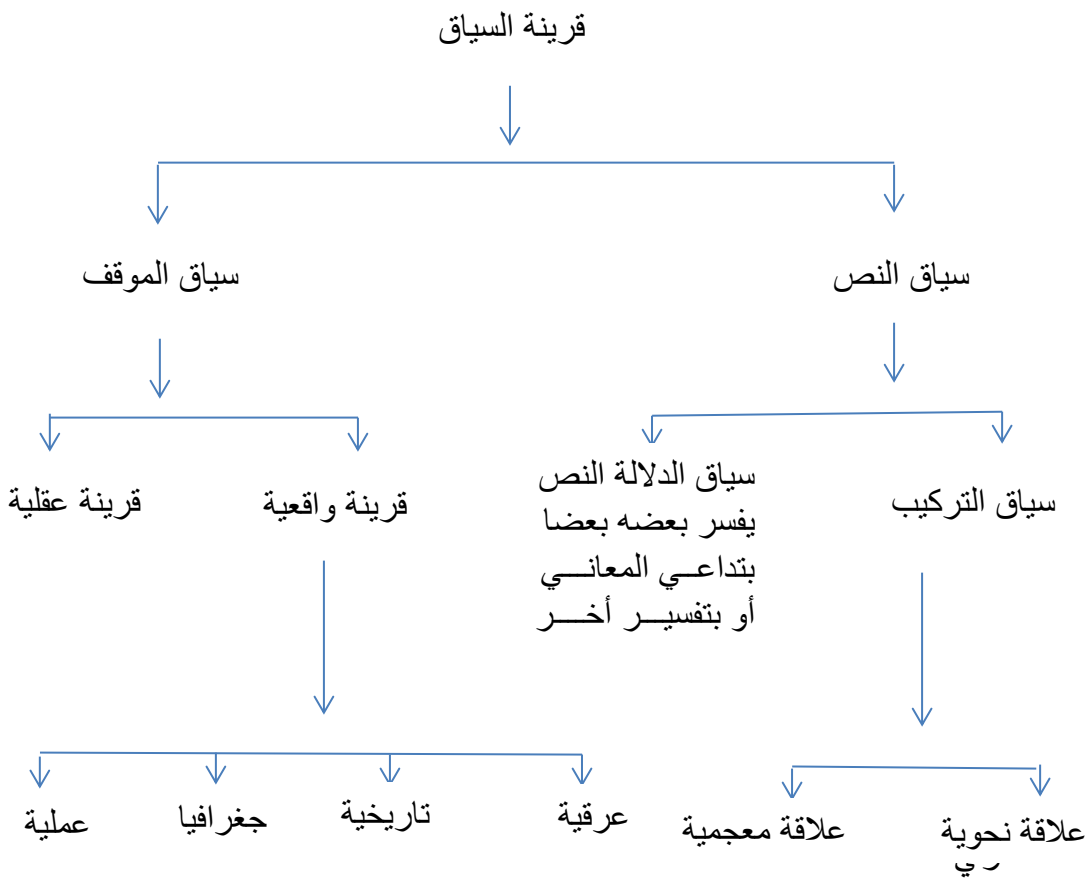

وفي ضوء ما سبق يرى تمام أن سياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية، والأولى قوامها العلاقات النحوية والمعجمية، والثانية قوامها العلاقات النصية. أما سياق الموقف فإما أن يكون قرينة واقعية وعقلية، والواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ، أو مواقع جغرافيا أو العلاقات العلمية في إطار الموقف الذي حدث فيه الكلام.

أما العقلية فإنها تنشأ عن تداعي المعاني بحيث يشير بعضها البعض في تسلسل منطقي.

نظرية القرائن:

إن لفظ (قرائن) مأخوذ من الفعل الماضي (قرن) وجمعها (قرائن)، وله معاني كثيرة منها:

الوصل والجمع، والشد، والربط والمصاحب، والتلازم والالتقاء، والروابط فيقال: "قرن الشيء بالشيء" وصلة، وقرن الشيء بالشيء، والقرينة عند عبد القاهر الجرجاني بمعنى الفقرة.

- **وفي اللغة:** فعليه . بمعنى المفاعلة، مأخوذة من المقارنة.

- **وفي الاصطلاح:** أمر يشير إلى مطلوب...[44].

*** أقسام القرائن:**

و قسمت القرائن إلى عدة أقسام منها:

- القرائن النحوية، والقرينة الحالية وكذلك القرائن اللفظية والمعنوية. وقال تمام حسان: وإنما ينبغي لنا أن نتصدى للتعليق النحوي بالتفصيل تحت عنوانين:

أحدهما: "العلاقات السياقية" أو ما يسهيه الغربيون La retation

والثاني: هو "القرائن اللفظية [45]Syntagmantique

وما يهم البحث هو معرفة القرائن في ضوء نظرية التعليق والسياق عند عبد القاهر الجرجاني.

*** القرائن في ضوء نظرية التعليق والسياق:**

"والتعليق عند عبد القاهر الجرجاني هو المركزية في النحو العربي"[46]، وهو الإطار الضروري لتحليل النحو أو الإعراب، وهو يحدد معاني الأبواب النحوية في السياق وتمييز العلاقات بينهما بصورة وافية نافعة في التحليل النحوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية ووسيلة في تلك القرائن.

أهمية نظرية السياق:

أما أهميتها فإنه "يضطلع بأدوار كثيرة في التفاعل الخطابي، مثل تحديد قصد المرسل ومرسل العلاقات"[47].

اعتباراً لأهمية السياق فإن كثيراً من الباحثين جعلوه أساس ظهور الأفعال الكلامية؛ ومنهم "أوريكيوني"، فهي ترى الكلام إلى جانب كونه تبادلا للمعلومات فهو أيضاً "انجاز لأفعال تتماشى مع مجموعة من القواعد، والتي من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، ويترتب على ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري وتوجهه التداولي

أي قيمته وقوته الكلامية"[48]، ثم قام "أوسنين" باستقصاء كل ما يمكن أن تفعله وذلك انطلاقا من نقده للفلسفة التي تربط الخبر بالصدق أو الكذب دون سائر الأقوال، يسعى المتكلم إلى إثبات حكم هو بمثابة فعل وذلك بالاستناد إلى علاقات الإسناد، وبهذا تظهر أفعال المتكلم عند الجرجاني، إنها أفعالا كلامية تكون منطلقة من المعانى النفسية لتفيد أغراضاً مختلفة القصد منها إثبات، توكيد...وذلك بالنظر إلى السياق الذي ينجز فيه القول وقد رأى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على إيصال المعلومات و الأفكار فقط، بل تتعدى ذلك لتكون" مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات ساقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية"[49]، وهي وظيفة تتعلق بالبعد الاجتماعي للغة، وقد سعى "أوستين" في محاضراته الأولى إلى بيان أن الكلام ينقسم إلى قسمين:

1- **التقرير: Constatif** ويتمثل في الأخبار المحضة التي يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، وهي ما

يقابل الأساليب الخبرية عند العرب.

2- **الإنجاز: Performatif** ويتمثل في نوع الأفعال التي يكون إنجازها باللغة، وذلك يتوفر عامل

المقام الذي يساهم في إنجازها بالإضافة إلى شروط الإنجاز مثل: الإدارة والقصد وحسن النية وصدقها وتوفر مختلف الظروف الطبيعية والمقتضيات الاجتماعية المطابقة للعمل اللغوي المنجز[50].

وقد اهتم عبد القاهر الجرجاني" بلحظة إنجاز الكلام انطلاقا من المعاني النفسية التي تنطلق من نفسيه المتكلم، وفق قصد تتعلق به، ويتحد لاحقاً في الأغراض التواصلية التي يضمرها تارة ويصرح بها أخرى، فاعتبر أغراض المتكلم محددة الإنجاز بما يناسبها من معانٍ بكونها خواص تراكيب الكلام التي تقتضيها الأحوال والأغراض"[51].

وبهذا يكون ترتيب الكلام (القول)عند عبد القاهر الجرجاني هو إنجاز لمعاني النحو، وتظهر المزية والفضيلة في حسن استخدام تلك المعاني النحوية بحسب مناسبتها لمقام القول، وفي ذلك الكلام يقول الجرجاني: "فلا ترى شيئا من ذلك بعد ، أن يكون حكما من أحكام النحو ومعنى من معانيه، ثم إنا نرى هذه كلها موجودة في كلام العرب، وترى العلم بها مشترك بينهم"[52]. كما أن الجرجاني قد تنبه إلى أهمية القصد الذي يبني وفقه المتكلم كلامه، وهو ضروري في بناء الكلم فيقول في معنى القصد إلى معاني الكلم.

((أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه ... وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق... والأحكام التي هي حصول التعلق"[53].

إسهامات حول دراسة النظم القرآني:

أسهم أعلام البلاغيين في دراسة النظم القرآني، وحاولوا كشف جماليات النظم القرآني، وخصائص ألفاظه وتركيبه وتأليفه وتصويره، وتوضيح ما ورائه من روعة البيان والإعجاز. "فالدراسات في النظم القرآنية والبلاغية لا تقتصر على معرفة علم البيان والمعاني والبديع، والتأمل في التقديم والتأخير والمفرد والجمع والتعريف والتنكير فحسب، وإنما هي دراسة لكشف الأسرار في القرآن الكريم وإبراز الإعجاز القرآني، وكثير الناس يتساءلون عن طرق معالجة البلاغيين في هذه الدراسات، ويريدون أن يعرفوا كيف يبدأ البلاغيون دراساتهم في النظم القرآني ولماذا يرون أن النظم القرآني وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وهم يتساءلون عن الخصائص الجمالية للنظم القرآني التي أبرزها أعلام البلاغيين في هذه الدراسات"[54].

وقد شجع العلماء على جمع اللغة والشعر لمعرفة النظم القرآني، ونرى آراءً قيمة حول دراسة النظم القرآني تكشف عن تصوره وتوضيح أسراره وتوقف عند بلاغته، فمن هؤلاء العلماء البلاغيين من الأدباء والمتكلمين والمفسرين والمحدثين:

1- إسهام الخطابي في دراسة النظم القرآني:

كان أبو سليمان محمد بن محمد الخطابي هو: أول من نبّه الأذهان لدراسة النظم والتي لها خطرها في ازدهار الدراسات البلاغية فيما بعد. وشرع في البحث عن مقياس تنطبق على القدر المعجز من القرآن الكريم، وتبرز أسباب الحسن والجمال الكامنة فيه، وألف الخطابي رسالته "بيان إعجاز القرآن"، والتي تبدو من أوّلها أنه قد قرأ كل ما كتب حول إعجاز القرآن الكريم وفهمه فهما عميقاً، ثم ناقش في كتابه وجوه الإعجاز ووضع فيها رأيه، ويقول: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً، وذهبوا فيه كل مذهب من القول، وما وجدناهم بعد صدروا من رأيّ، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقت على الكيفية"[55].

والخطابي حينما يتكلم من الأسس في الكلام، فيرى عنده طابع خاص عن سابقيه، حيث تفرّد بالإشارات الدقيقة إلى حقيقة الأسلوب، فهو لا يعطي الأهمية للفظ وحده، ولا للمعنى وحده، ولكن يعطها للنظم الذي يجمع بين الأمرين وهذا شيء جديد الذي لا يظهر عنه أحد من قبله.

فيرى الخطابي بأن هذا النظم القرآني معجز، والنظم هو وجه من وجوه إعجاز القرآن.

أركان الكلام عند الخطابي:

فأركان الكلام عنده:

1- لفظ حامل للمعنى قائم به خادم له.

2- معنى روح للفظ وبه يقوم.

3- نظم وهو سلك ينظمهما، وخبط يربطهما.

ويبدأ الخطابي تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الكلام البليغ الرصين الجزل.

الثاني: الفصيح القريب السهل.

الثالث: الجائز الطلق الرسل.

وهذه الأجناس مختلفة ومراتبها في نسبة التبّيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة، وفي قوله: "فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام وأرفعه، والقسم الثاني أوسطه وأقصده، والقسم الثالث أدناه وأقربه. فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كّل نوع من أنواعها شعبه، فالنظم لها بامتزاج هذه الأوصاف في نمط من كلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة"[56].

*** بيان السر البلاغي في النظم القرآن عند الخطابي:**

السر البلاغي في النظم القرآني الكريم والذي أعجز العرب عن الإتيان بمثله أو سورة منه، عند الخطابي الأمور الآتية:

1- إن عملهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل.

2- إن أفهامهم لا تدرك جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

3- وإن معرفتهم لا تكمل لاستبقاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلاف الألفاظ وارتباط بعضها

ببعض.

4- عدم قدرتهم على اختيار الأفضل عن الأحسن من وجوه النظوم.

وخلاصة رأي الخطابي أنّه يرى أنّ إعجاز القرآن راجع إلى جمال ألفاظه، وحسن نظمه، وسمو معانيه، وأثره في النفوس، وفي قوله: "قلت في إعجاز القرآن وجها أخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير

القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور"[57].

ولا يرد الإعجاز إلى الناحية البلاغية فحسب، ولكنه يرى أنّ وجه الإعجاز في القرآن يتألف من عدة أمور مجتمعه هي: ما تضمنته القرآن من الأخبار عن الكوائن في المستقبل.

وببيان الخطابي للسر البلاغي في الإعجاز القرآني، توصّل إلى وضع نظريته في الكلام، حيث يقول: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة:

أوّلا: لفظ حامل.

ثانياً: معنى به قائـم.

ثالثاً: رباط لهما ناظـم.

فهذه الأشياء الثلاثة إذا جاءت مجموعة وعلى أحسن ما يكون، فالكلام المشاد يصل إلى الإعجاز .الخطابي يقول في شأن القرآن الكريم: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلًا من نظمه، أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

وأما غير القرآن فيرى الخطابي أن هذه الفضائل الثلاث توجد على التعرف. فلا يمكن لمخلوق وإن بلغ الغاية في الفصاحة أن يستمرّ كلامه على مستوى واحد من التفوق طوال حياته، ولكن يوجد اختلاف في كلامه"[58].

ومن هنا وجدنا بأن الخطابي في رسالته هذه له طابع خاص عن سابقيه، حيث تفرّد بتلك الإشارات الدقيقة إلى حقيقة الأسلوب، فهو لا يعطي الأهمية للفظ وحده، ولا للمعنى وحده، ولكن يعطيها للنظم الذي يجمع بين هذين الأمرين[59].

وقد أشار الدكتور محمود السيد شيخون إلى رأي الخطابي في البحث عن الإعجاز القرآن، فقد عرضه عرضاً شيّقاً، ويدل على ذوق جميل وطبع سليم وفهم عميق لأساليب العربية، ومعرفة تامة بطرق التعبير فيها، وقدرته على تذوّق حلاوتها، فأثر في نفسه تأثيراً واضحاً. فعبر عن هذا التأثير بأجمل العبارات، وجعله وجهاً من وجوه الإعجاز[60].

ويفهم من ملاحظة الدكتور محمود السيد شيخون بأنه يوجد هناك تقارب بين فكرة الإمام الخطابي والإمام الرماني خاصة فيما يتعلق بوجه الإعجاز البلاغي- فكلاهما قد قسم الكلام إلى ثلاث مراتب ولكنهما يختلفان في أن الرماني قد جعل أعلى رتبة من رتب البلاغة للقرآن وعجز البشر عن الوصول إليها.

أما الخطابي فيرى أن القرآن قد أخذ من كل هذه الُرتب الثلاث، فحصل له بذلك نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة. فكلا الرأيين متقاربين"[61].

ومن أجل هذا، نلاحظ أن الإمام الخطابي له دقة النظر من تأمّله الدقيق حتى يرى هذه الأشكال الثلاثة من الكلام التي خاطبها القرآن إلى ثلاث مستويات من الناس. فالخطابي بجهده، قد لفت أنظار العلماء إلى بحث النظم بحثا علميّا دقيقاً؛ لأن من الصفات البارزة عند أهل حديث صفة الدقة. ويفتح عيون الباحثين بعده من خلال تقسيمه للكلام إلى الأسس الثلاثة. وكانت هذه الأسس الثلاثة توجْه الطريق للدارس أن يقوم بدراسة هذا النظم من خلال الوقف على توضيح ماهية النظم وتوسيع البحث عنه حتى اكتشفت بعض أسرار الإعجاز في النظم القرآني.

ومن دراسة رسالة الخطابي والوقوف على المؤلفات المتعلقة بالدراسة، نلاحظ أنه يردّ الإعجاز إلى الناحية البلاغية ويرى إعجاز القرآن راجع إلى جمال ألفاظه. وحسن نظمه، وسموّ معانيه، وأثره في النفوس. هذا يدلّ على دقّة عقله وعمق فكره كمحدّث.

وأما اتجاه المحدثين فكان واضحا عند ما يتجه إلى دراسة الإعجاز القرآني دراسة جدّية عميقة، وإن لم يشرحوا النظم القرآني شرحا وافياً واسعاً كما فعل البلاغيون، ولكن كلامهم عن نظوم التأليف تسهم مساهمة كبيرة وتفتح الطريق لمن أتي بعدهم مثل: عبد القاهر الجرجاني، وغيره لتوسيع معني النظم وتوضيحه حتى كملت هذه الفكرية على يد عبد القاهر الجرجاني.

ويقال أن الجرجاني أول من ثار على طريقة دراسة النظم القرآني بوجه دقيق، ولكنها ثورة تتسم بالهدوء. وأما من ثار ثورة عارمة على دراسة هذا النظم القرآني البديع فهو القاضي أبو محمد المعروف (بالباقلاني)، بحيث يوضح الخصائص لهذا النظم على وجه التفصيل [62].

2- بين النظم القرآني والنظم العربي:

ذهب القاضي أبو محمد بن الطيب الباقلاني الذي كانت أهم كتبه التي عالجت قضية الإعجاز القرآن كتابه "إعجاز القرآن"، الذي أجمع المتأخرون على أنه لم يصنف مثله.

ويرى الدكتور عبد العزيز الحناوي بأنه كتاب جليل في دراسات البلاغة والنقد والإعجاز، وهو ينفع في دراية نواحي إعجاز القرآن الكريم، والكشف على أسراره، ويرى بأنه ممتاز بجدة منهجه في البحث، وعمق تذوق صاحبه للأدب ودقّة فهمه لأصول البيان، وسعة اطلاعه على ثقافات الدين والعربية، كما يتميّز الكتاب بجمال أسلوب وطلاوته وبغلبة ثقافة المتكلّمين عليه [63].

لقد جاء الباقلاني بفكرة واسعة في بحثه عن النظم. وعنده ملامح سبق إلى بعضها، بل زاده اتساعاً، وموازنة في بعد دقيق. وقد اختار الباقلاني بأن النظم طريق للإعجاز القرآن، كما أشار الخطابي إليه من قبل. فالقرآن الكريم عنده يتميّز عن أساليب العرب وهو ليس سجعاً ولا شعراً، وليس خطابة، ولا جارياً مجرى الرسائل، ولكن القرآن بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى حد الذي عجز الخلق عنه.

وفي مقدمة كتابه "إعجاز القرآن"، رفض فكرة الملحدين حينما قالوا أن القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين. والبديع عنده أساس لبلاغة القرآن،.

فالباقلاني لا يعتبر البديع سبيلا لإثبات الإعجاز، لأن المرء يمكنه أن يمهر فيه، وأن يحذقه إذا تدرّب عليه وتفرّغ له، وإن كان البديع يدل على البراعة والصنعة، وكذلك ينفي السجع نفياً من القرآن، ويذهب أنه لو كان سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز لجاز أن يقول: هو شعر معجز [64].

ويؤكد الباقلاني في أول كتابه بأن القرآن معجز، وأنّ نبوّة نبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– بُنِيَتْ على هذه المعجزة، وكان إعجاز القرآن واقع في النظم والتأليف والرصف. ووضّح بأن النظم القرآني يخالف جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مقفى على مخرج الأشعار والأسجاع، وأن نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج.

علاج دراسة النظم القرآني:

وعالج الباقلاني دراسة النظم القرآني من خلال الحديث عن ثلاثة أمور رئيسية، هي:

1– ماهية النظم القرآني.

2– مخالفته لأي صورة من صور كلام البشر.

3 وجـوه الإعجـاز لهذا النظـم البديـع.

إن وجوه العرب وفصحاءهم سلموا بتقدّم القرآن في الفصاحة والبلاغة، وأظهروا العجز عند معارضته ووصفوه بالحلاوة والطلاوة. كما أن الباقلاني لا يغفل فصاحة الكلمة، حين يردّ الإعجاز إلى النظم، فللكلمة ذاتها فصاحة خاصة، ووقع خاص، ومرونة عالية أو هامسة فيقول: "وأنت تري الكلمة من القرآن، يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جمعية وواسطة عقده والمنادى على نفسه بتمييزه وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه"(65).

ثم فرّق الباقلاني بأن النظم القرآني أو كلام الله اللفظي الذي هو حكاية لكلامه النفسي القديم القائم بذاته سبحانه وتعالى على حدّ قوله عن نظم الكتب الإلهية الأخرى بأنه نظم معجز. أما تلك الكتب السماوية الأخرى، فإن نظمها ليس معجزاً وإن كان ما تتضمنه من الأخبار عن الغيوب معجزاً.

وأكد الباقلاني أن هذا القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المعجز بنظمه وتألفيه. أما الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل وغيرها من الصحف فهي معجزة بما تتضمّنه من الأخبار بالغيب فقط وليست معجزة بالنظم، لأن الله تعالى لم يصفها بما وصف به القرآن، ولم يقع التحدي بها كما وقع التحدي بالقرآن.

وفي عصر الباقلاني، وجد الملحدون يعدلون القرآن ببعض الأشعار ويوازنون بين النظم القرآني وبين نظم كلام العرب شعراً ونثراً. فلا يرضى بذلك فيحاول الباقلاني تقديس القرآن من كل محاولة سيّئة فعقد المقارنات بين النظم القرآني ونظم كلام العرب لكي يوضح لهم جلال القرآن وعظمة نظمه(66).

وبدأ أبوبكر محمد الطيب عن يوضح وجوه مخالفة نظم القرآن عن نظم كلام العرب:

1- نظم القرآن خارج عن نظام كلام العرب.

2- نظم القرآن معجز وخارج من العادة.

3- نظم القرآن يخرج عن كلام الإنس والجن.

4- نظم القرآن لا يتفاوت ولا يتباين وكلام العرب بعكسه.

5- كان في القرآن اللفظ البارع في المعني البارع ولو كان المعاني تتضمن الشريعة والأحكام(67).

قال الدكتور فتحي أحمد: بأن "هذه خصائص نظم القرآن كما يراها الباقلاني، ويرى في هذه المقارنة أن الباقلاني يقدم أسلوب القرآن على غيره من أساليب العرب، مبيناً فضل القرآن على جميع أساليب الكلام. ومن هذه الموازنة، يتضح له أن القرآن هو وحي من الله وليس من كلام البشر.

وقد بنى الباقلاني على فكرة أن نظم القرآن خارج على المعهود من نظوم كلام العرب من ناحية تصرف أسلوبه في تناوله للمعاني والتعبير عنها مع أنّ الحروف حروفهم والألفاظ ألفاظهم والتراكيب تراكيبهم، ثم نفى فكرة أنّ القرآن معجز بسبب أنه الكلام القدم أو حكاية عنه أو عبارة عنه كما نفى أن يكون وجه الإعجاز في نظم الكلام لأنه حكاية عن الكلام القدم.

ولا يغفل الباقلاني فصاحة الكلمة، حين يردّ الإعجاز إلى النظم، فللكلمة ذاتها فصاحة خاصة ووقع خاص، وهذه يتميّز بها نظم القرآن عن نظم كلام البشر.

هذا رأي الباقلاني عند دراسته في إعجاز القرآن والنظم القرآني، وقد عرضه بأسلوب جميل، فيه رقة الأديب ودقة العالم اللبيب، ومن ثم نرى الباقلاني في محاولته لإثبات الإعجاز للقرآن الكريم، يقوم بشرح وجه من وجوه الإعجاز القرآني. فشرحه عن الإعجاز البلاغي للقرآن، وبيانه عن تفوق هذا النظم القرآني على كلام البشر، قد وجّه الطريق للدارسين للكشف عن أسرار النظم القرآني بوجه دقيق. ومنهم القاضي عبد الجبار أسد آبادي وعبد القاهر الجرجاني، وكان توضيح الباقلاني لوجه تفوّق النظم القرآني بالنسبة للنظم العربي العادي في مقارنته المشهورة يفتح الطريق إلى هؤلاء من أعلام البلاغيين لكشف أسرار الإعجاز في النظم القرآني وإبراز تفوّقه إبرازاً تاماً. ولاحظنا وراء دراسة النظم القرآني عند المتكلمين بعد النظرات الأولى في "المجاز" لأبي عبيدة و "معاني القرآن" للفراء و"النكت في إعجاز القرآن" للرماني، وغيرها لدى المتكلمين في سلسل الزمن،الذي بدء بالجاحظ وانتهى بالباقلاني، حتى نصل إلى هذا الحقل من حقول المعرفة، فوجدنا أن المتكلمين قد شغلوا أنفسهم طويلا بالقرآن ودراساته، والرد على حجج المفترين الضالين[68].

3- توضيح فكرة النظم القرآني عند عبد القاهر الجرجاني:

الجرجاني من الشخصيات البارزة الذين ساهموا في شرح فكرة النظم، حيث استطاع أن يفسّر هذه الفكرة تفسيراً واضحاً شاملا قائماً على أسس علمية قويمة مع التركيز إلى الجانب النظري بحيث لا يختل الجانب التطبيقي.

إن عبد القاهر الجرجاني له مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة وفي مسلك الدراسات القرآنية، واستطاع أن يضع هذه الفكرة في مكانة مهمة.

وأن الناظر في كتبه يرى بأنه يريد أن يثبت بأن الإعجاز القرآني يرجع إلى نظمه وتأليفه لا إلى ألفاظه ومعانيه. فهو الوجه الوحيد عنده الذي من جهته كان الإعجاز في القرآن الكريم.

وقد كرّر فكرته هذا أكثر من مرة في كتابه "دلائل الإعجاز" لكي تتضح ماهية النظم وخصائصه وكل ما يتعلق به . فقال عبد القاهر الجرجاني: "أن الناظم إذا أراد أن ينظم كلاماً في أي غرض يبدأ فيرتّب المعاني في نفسه أولاً، ويبذل جهداً في ترتيبه، ثم يتبع على ترتيبها الألفاظ، فإذا وجب للمعاني أن يكون مثله أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق"[69]، وإنه يفرّق بين نظم الحروف ونظم الكلمات، فيقرر أن نظم الحروف إنما يكون بترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس.

ومن هنا، يفهم بأن فكرة النظم عنده تدور حول العلاقة بين الألفاظ والمعاني داخل إطار العبارات، أو فكرة إدراك العلاقات داخل النص، وسمّي هذه العلاقات (النظم)، كما استهل كتابه (الدلائل)، حيث يقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام"[70].

وهنا بدأ الجرجاني، يقرّر أن الفصاحة والبيان والبلاغة تردّ جميعاً إلى خصائص في الكلام وراء ألفاظه ومعانيه، وهي خصائص تعود إلى النظم ترتيب الكلمات على حسب ترتيب المعاني الإضافية في النفس. ويقرّر أيضا أن المزية للكلام ليست بمجرد اللفظ أو مجرد المعني، إنها تقع في نظمه باعتبار ملائمة معنى اللفظة لمعنى اللفظة التي تليها. ويجعل الإمام عبد القاهر كذلك ذروة المزية والبلاغة، وهي الإعجاز القرآني في النظم وحده لا في شيء أخر.

ويؤكد عبد القاهر مرة بعد مرة أن النظم لا يكون يوضع كلمات مجردة دون ارتباط كلّ منها بالأخرى حسبها يقضيه النحو. والنظم عنده هو أن توخّي معاني النحو التي يدور عليها تعلق الكلام بعضه ببعض، وفسّر أن النظم توخي معني النحو بين الكلم، يعني أن تركيب المعاني في النفس، ثم النطق بها ألفاظاً على هذه الصورة التي روعي فيها معاني النحو من حيث التقديم والتأخير، ووضع الفاعل موضعه والحال في موضعه بطريقة ارتضاها السابك المؤلف، ليجعل من كلامه بليغاً يخرج في أحسن التأليف وفي أحسن نظوم التأليف وفي قوله: "واهلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"[71].و قوله أيضاً: "أنّه لا معنى للنظم غير توخّي معاني النحو بين الكلم"[72].

فالنحو عنده لا يقتصر أمره على معرفة الصحة والخطأ في العبارة، وإنما يتجاوز ذلك إلى مواطن الجمال، والتفرقة بين الأساليب المتفاوتة في الجودة والقبح. ومعاني النحو عنده أيضاً لا تتضح في إعراب الكلمات وبنائها، ولا في تفسير الألفاظ ومعانيها قط، فتطلق على هذه الكلمة أنها مبتدأ وأنها خبر أو أن هذه فاعل وتلك مفعول، بل باتحاد أجزاء الكلام ودخول بعضها في بعض، وارتباط الثاني بالأول.

ثم جاءت بعض الأمثلة في الخبر: (أحمد منطلق) و (ينطلق أحمد) و (منطلق أحمد) و (أحمد منطلق) و (المنطلق أحمد) و (أحمد هو المنطلق) و (أحمد هو منطلق)، كل هذه الجمل والتراكيب تحمل معاني مختلفة، وفيها أسرار بلاغية. وعنده يخاطب السامع الكلام على مقتضى حاله. وكذلك في كل الحروف توضع والحركات تشكل وتحمل المعاني البلاغية المختلفة. ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلاّ من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له.

ومن الملاحظ، أن النظم الكلام عنده ليس الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيفما جاء واتفق، كنظم الكلم الذي تقتفي فيه آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، بل يجب أن تتساق دلالتها وتتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، حتى يعلق ببعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، فإذا فعلت هذا كله لاشك تكون قد استكملت فكرة النظم من وجهة نظره[73].

والإعجاز عند عبد القاهر الجرجاني لا يكون في الكلمات المفردة، ولا في المعاني ولكن يقع في النظم يجمع بينهما وفيه ميزان الكلمة مع نسقها الصحيح حسبما يقتضيه علم النحو، وهذا النسق الذي يوجد الصلة القوية بين العبارة ومعانيها.

والجدير بالذكر أن هذه الفكرة بما اشتملت عليها التطبيقات الواسعة، والشروح الواضحة، والملاحظات الجديدة مع الأمثلة القوية من النصوص القرآنية والأشعار العربية، إذ لم يعرضها أحد من قبله هذا العرض المتميز الممتاز، و بذلك أثنى عليه أكثر البلاغيين، وقالوا بأنه مبتكر لهذه الفكرة.

إذا كان القاضي عبد الجبار هو أول من حدّد فكرة النظم، وكشف عن معالمها، وأبان أنها ضم الكلام بعضه إلى بعض على طريقة مخصوصة ومنهج معين، فقام عبد القاهر الجرجاني بتفسير هذه الفكرة تفسيراً علمياً قائماً على أسس قوية من الأدلة والبراهين. ثم تجاوزها إلى ما وراءها من المعاني الثانية، وسماها معنى المعنى أي لابد أن تعقل في النفس، ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى المعنى الأخر، هذا المعنى يحتاج إلى الواسطة ولم يأتي مباشراً في الذهن[74].

وينوّه عبد القاهر الجرجاني طويلا بنظم الكلام وأن فصاحة وبلاغته وروعته إنما ترد إلى هذه المعاني الإضافية التي يجلوها، ويعرض لبعض النصوص القرآنية وغيرها من كلام العرب مبيّنا فيها من دقة التعبير وجمالها.

وكان يعتقد بعد ذلك فصولا يصور فيها نظريته في المعاني الثانية أو الإضافية بباب التقديم لأجزاء الكلام[75].

ومن هنا قد لحظ الدكتور شوقي ضيف بأن عبد القاهر إذ عرض الصورة البيانية في كتابه "دلائل الإعجاز" لا لغرض بحثها بحثاً مفصلا، وإنها لإثبات أنه ينطبق عليها في النظم ومعانيها الإضافية ما يطبق على العبرات الحقيقية. ونراه يعقد أبواباً في الاستعارة والمجاز والكناية وغيرها[76].

وقد أفاد عبد القاهر الجرجاني كثيراً مما كتبه علماء النحو واللغة في تكوين وبنا فكرة النظم. وإنّ آراء العلماء السابقين قد اجتمعت بين يدي عبد القاهر الجرجاني، فأعمل فيها فكرته الدقيقة، ورأيه العميق ، وإحساسه الناقد. فرفض أن يكون مدار البلاغة على اللفظ أو على المعنى، وإنما البلاغة في العلاقة بين الألفاظ في العبارات من جهة، وبينها وبين المعنى من جهة أخرى، وتسمى هذه العلاقات بالنظم والملاحظ، أنّ أهل المشرق تميزوا بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام، على حين أن أهل العراق والشام ومصر والأندلس والمقاربة تميزوا بالذوق الأدبي والبلاغة، واتجهت فكرة عبد القاهر إلى أساس الفلسفة والمنطق حيث مزجت بالذوق الأدبي المرهق، فهذه الفكرة الفلسفية البلاغية قد برزت معالمها في كتابيه" دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"، وهو متكلم الأشعري، ولكنه يمتاز بنزوعه الأدبي وذوقه الفني. فدراسته مبتكرة لا من حيث الموضوع، ولكن من حيث منهج البحث وطريقته فيه، ومع هذه المعرفة الواسعة والفهم العميق، ومحاولة تحكيمها في الأدب وتفهم النواحي الجمالية. واتجاهه بذلك وجهة موضوعية تتفق مع المعرفة وتساير خطة الإقناع العقلي"[77].

وإن كان عبد القاهر قد سبقه الخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار في إشارة لوجه إعجاز القرآن لنظمه وتأليفه، ولكن شرحه لمفهوم النظم كان شرحاً وافياً وتوضيحه لخصائصه كان توضيحاً شاملا، وكان منهجه منهجاً ممتازاً، بحيث لم يسلك فيه أحد من قبله. فدراسته سعت لإثبات الإعجاز القرآني للنظم كانت أشمل دراسة وأوسعها وأعمقها من دراسات السابقين.

ويُرى معظم الدارسين والباحثين قديماً وحديثاً أن عبد القاهر الجرجاني هو مبتكر لفكرة النظم، وإن كان بعض البلاغيين السابقين قد سبقه في إشارة إلى أن القرآن معجز بنظمه وحسن تأليفه، ومن دراساتهم القيّمة انطلق الإمام عبد القاهر في توضيح هذه الفكرة توضيحاً شافياً.

وقد جاء البلاغيون من بعده مثل: الزمخشري وفخر الدين الرازي والشريف الرضى وابن الزملكاني، وغيرهم فأخذوا هذه الفكرة للتطبيق على القرآن الكريم. وفعل ذلك الزمخشري في تفسيره "للكشاف"[78].

4- النظم القرآني عند الزمخشري:

يبدو أن أول من طبّق دراسة النظم القرآني كله، هو الإمام المشهور بتفسيره لكتاب "الكشاف" الزمخشري [79].

يقول الدكتور أحمد العوفي: "كما علمنا أن عبد القاهر الجرجاني قد وقف طويلا بفكرة النظم وشغل نفسه لشرح هذه الفكرة ومثل لها بإتيان الشواهد من الآيات القرآنية والأشبار العربية وكلام العرب لإثبات بأنها الوجه الوحيد لإعجاز القرآن. واستطاع أن يفسر هذه الفكرة تفسيراً واضحاً شاملا، قائماً على أسس علمية قويمة، مع التركيز على الجانب النظري والتطبيقي، وعاش في فلك هذه الفكرة طول حياته.

وعلى كل حال، نرى أنه مازال يفتقد الجانب التطبيقي من حيث عرضه للنصوص القرآنية التي هي محل اتجاه هذه الفكرة، كما رأى بعض الباحثين في نقد كتاب عبد القاهر "دلائل الإعجاز"، بحيث يعرض قليلا من الآيات القرآنية بينما يتناول كثيراً من الأشعار العربية من كلام العرب، على حين اسم الكتاب هو "دلائل الإعجاز".

ومن هذا المنطلق، جاء الزمخشري صاحب البصيرة الناقد والذوق الصقيل والباع الطويل في النظر إلى عمق هذه الفكرة التي أسّسها عبد القاهر، فاستطاع الزمخشري أن يعطي هذا الجانب المفتقد في الدراسات السابقة بتأسيس التفسير الكامل البلاغي مركزاً على كشف الأسرار واللطائف في النظم القرآني من خلال دراسته وتطبيقه لهذا الفكرة التي وضعها عبد القاهر الجرجاني.

وله مصنفات جليلة بجانب الكشّاف، تبين خفايا ودقائق معارفه، كما يعينه ذوق أدبي مرهق يقيس الجمال البلاغي قياساً دقيقاً وما يطوي فيه من كمال، وهو من هذه الناحية ليس له قرين سابق ولا لاحق في تاريخ التفسير، بل لقد بذّ الأوائل والأواخر حتى نرى أهل السنة يشيدون به بتفسيره على الرغم اعتزاله ومخالفتهم له في عقيدته الاعتزالية.

ويبدو من كلامه أنه تأثر بفكرة عبد القاهر، حيث أن وقوفه على إعجاز القرآن وأسراره ولطائفه وأبعاده ومراميه لا بد فيه من التسلح بعلمي المعاني والبيان، وسائر علوم البلاغة حتى تتضح له هذه الأسرار القرنية. هذا هو آثار مما كتبه عبد القاهر في كتابيه "دلائل الإعجاز" و"الأسرار البلاغة"، عن علوم البلاغة وبخاصة المعاني والبيان. وقد عني بهذين العلمين وكشف عن كثير

من ألوانهما في النظم القرآني، وجلا أسرار ما فيها من روعة وجمال، لإبراز أسرار وإعجاز النظم القرآني"[80].

يقول الإمام الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ((**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**)) [81]. فإن قلت: كيف يكون ما يأتون به مثله، وما يأتون به مفترى، وهذا غير مفتري؟ قلت: معناه مثله في حسن البيان والنظم وإن مفتري[82]. ثم قال أيضاً في قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)) [83].معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبعة في حسن النظم"[84].

((كما يتضح الإعجاز عنده في الأخبار بالغيوب، إذ أنهم لو عارضوه بشيء لتناقله الناس لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه، فحين لم ينقل، علم أنه إحياء بالغيب على ها هو به، فكان معجزة"[85].

ومن هنا يتبين لنا أن الزمخشري يرى أن إعجاز القرآن يكون في شيئين:

- **الأول**:أن يكون في نظم القرآن.

- **الثاني**:وأن يكون في أخبار بالغيوب.

وقد نبّه لهذه النزعة في كتابه "الكشاف"، حيث يقول: "النظم هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"[86]، إنه في هذه الناحية يتابع عبد القاهر الجرجاني، بل هو أول مَنْ طبّق فكرة عبد القاهر الجرجاني في دراسة النظم القرآني تطبيقاً عملياً على نطاق واسع يشمل سور القرآن تطبيقاً جميعها.

يشير الدكتور أحمد الحوفي كتابه بأن الزمخشري استن نهج ابن عباس والطبري وغيرهما في الاستشهاد بالشعر والاستدلال به على تفسير معاني بعض الكلمات في نظم القرآن[87].

فقد روي ابن عباس – رضي الله عنه– أن أعربياً جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– فتكلم بكلام بيّن، فقال – صلى الله عليه وسلم–: "إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكماً"، وكان ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن، فيقول: فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. وقال عكرمة – رضي الله عنه– : ما سمعت ابن عباس فسّر آية من كتاب الله

عزو جل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر. وكان يقول: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب"[88].

"ونقل عن بعض الباحثين في دراسة النظم القرآني بأن بعض الصحابة– رضي الله عنهم– فسّر آية من آيات القرآن الكريم بإثبات الشواهد من أشعار العرب فهو لتوضيح أن ألفاظ القرآن تتألف من ألفاظ التي استخدمها العرب في كلامهم، وإنما يريدون أن يبرزوا أن ما ينفرد به القرآن عن كلام العرب هو من حيث نظمه البديع المنفرد.

ويريدون أن يثبتوا بأن إعجاز القرآن وقع في نظمه، لا في ألفاظه أو معانيه. ولهذا استشهدوا بالشعر لتوضيح هذه الفكرة، بجانب الكشف عن دلالات كثير من الألفاظ في القرآن الكريم.

لقد اتّضح مما سبق، أن الزمخشري استوعب كل ما كتبه عبد القاهر في "أسرار" و "الدلائل"، ومضى يطبّقه تطبيقاً دقيقاً على آيات الذكر الحكيم، وكأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من آراء عبد القاهر إلا ساق عليها الأمثلة النيرة من النظم القرآني، وقد وصل هذا التطبيق بكثير من آرائه التي تدل على تعمقه وفطنته في تصوير الدلالة البلاغية، وإحاطته بخواصّ العبارات من مفرداتها وتراكيبها وما فيها من محاسن دقائق"[89].

وكان الزمخشري برع في الشعر والنثر وأوتي من الفطنة، ودقة الحس، ورهافة الشعور ما أعدّه خير الإعداد لهذه المهمة، وكأنما تجمعت في صدره جميع أماني المعتزلة والأشعرية في تصوره عن بلاغة النظم القرآني. فأقبل على الدراسات البلاغية يعبّ منها وينهل، ولم يلبث أن يجد خير مورد له كتابات عبد القاهر في دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة، فدرسها حتى تمثلها تمثلا منقطع النظر، يؤمن بأن المعرفة بالبلاغة وأنماطها وإدراك أساليبها لا تكشف عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن فقط بل تكشف عن خفاياه ومعانيه وخبيئاتها وذخائرها المكنونة. وعلى هذه الشاكلة، يمضي الزمخشري في تفسير الآيات وبيان تعلق بعضها ببعض، وتعلق عباراتها وألفاظها، تعلقاً يكشف في ثناياه عن جميع وجوه النظم التي تحدث عنها، عبد القاهر في كتابيه هذين.

فلا شك أن أسس المنهجية التي وضعها عبد القاهر قد أثمرت ثمرتها عند الزمخشري، فهو منذ مطلع تفسيره، جعلها عمدة هذا التفسير البلاغي، وكان يتابع عبد القاهر في معالجة أسرار النظم القرآني، بل يطبق هذه الفكرة المهمة على آيات القرآن كله.

ونرى اتجاه الزمخشري اتجاه المفسّرين في دراسة النظم القرآني من تفسيره (الكشاف) المشهور بتفسير بلاغي في تاريخ تفاسير. وهذا التفسير كتبه الإمام الزمخشري من دراسته وإلمامه لنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ومضى يطبّقه هذه النظرية تطبيقاً دقيقا على آيات القرآن الكريم، وكأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من آراء عبد القاهر إلا ساق الأمثلة التبرة من النظم القرآن. وهذا التفسير البلاغي جديد الذي لم يعمل أحد من قبله في تاريخ التفاسير والمفسّرين طول الزمان. وجهده كبير الذي يشجع الباحثين بعده أن يكشفوا أسرار المعارف الربّانية في آيات الذكر الحكيم. وكذلك جهود الخطابي والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني الذي يسهمون مساهمة كبيرة عظيمة في دراسة النظم القرآني. بارك الله لهم وارحم أرواحهم أجمعين[90].

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ليس من الممكن لدراسة واحدة الإحاطة بأسس نظرية النظم للإمام الجرجاني وتأثيراتها على العلوم ذات العلاقة، وتأثير تلك العلوم فيها؛ ففيها من التشعب ما فيها، ولكن يمكن القول أن هذه الدراسة توصلت لنتائج منها:

1- إن بذرة نظرية النظم سبق الإشارة إليها في كتب إعجاز القرآن كما يظهر في قولهم إن إعجاز القرآن مصدره نظمه كما في كتابات الخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار.

2- صاغ الجرجاني من فهمه لجهود مدرسة الإعجاز أن حسن الكلام لا يأتي من فصاحة اللفظ أو المعنى ، وأن الألفاظ أوعية للمعني خادمة لها.

3- فهم الجرجاني للنظم لا يقصد به ضم الكلام لبعضه كيفما أتفق، بل لا بد من تتبع لأثر المعاني وتعلق بعضها ببعض، ولا نظم ولا ترتيب للمعني حتى يقع الكلام وفق ما يقتضيه العقل ويوافق طرائق النحو، وأن معرفة مدلولات العبارة أهم من معرفة العبارة نفسها.

4- مدرسة إعجاز القرآن من أبرز المنابع التي انتفع بها الجرجاني في بناء نظرية النظم.

5- كتابات النقاد واشتجارهم حول قضية اللفظ والمعني جعلت عبد القاهر ينظر للأمر أن حسن وبلاغة الكلام لا تكون إلاّ بمراعاة النظم فيه.

6- لا ينكر فضل النحاة واللغويين، بل تشرب الجرجاني لآرائهم والتي استوعبتها ذائقته الأدبية في بروز هذه النظرية.

7- خدمت نظرية النقد الكثير من العلوم كما يظهر في تفسير الكشاف للزمخشري.

وتوصي الدراسة ب:

1- الوقوف على تأثير نظرية النظم على الدراسات النحوية والبلاغية والأدبية والقرآنية عند العرب والغربيين.

2- معرفة تأثير البلاغة اليونانية على استخلاص النظرية من كتابات من سبقه.

3- الموازنة بين معارف المدارس المختلفة من إعجاز ونحو وأدب في بروز النظرية بشكلها المعروف.

4- النظر في منهج وطريقة الجرجاني في إيجاد نظريته.

5- وظف الجرجاني نظريته في فهم جماليات الأدب وكيفية الاستعانة بها في نقد أدبنا المعاصر وفق موضوعية الفهم والإقناع العقلي.

الهوامش

---

[1]- سفيان عيساوية، مصطلح التعليق في الدرس اللغوي القديم- عبد القاهر الجرجاني أنموذجا- رسالة ماجستير، مقدمة لكلية اللغة والآداب، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان،1437هـ- 2016م، ص46.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان، دار المفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1428هـ -2007م ، ص69.

[3]- المصدر السابق، ص282.

[4]- سفيان عيساوية، مصطلح التعلق، مرجع سبق، ص47.

[5]- الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص45.

[6]- المصدر السابق، ص40- 41.

[7]- حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب، دار الطباعة تونس، (د: ط)، 1981م، ص116.

[8]- الجرجاني، أسرار البلاغة، ، مصدر سابق، ص113 .

[9]- المصدر السابق ، ص44.

[10]- عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي_ بيروت، ط2، 1996م، ج1، ص19.

[11]- الجرجاني، دلائل الإعجاز ، مصدر سبق ص307.

[12]- المصدر السابق، ص307.

[13]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ص9.

[14]– الجرجاني، دلائل الإعجاز مصدر سابق، ص196– 197.

[15]– المصدر السابق، ص19.

[16]– بشار بن برد، ديوانه، أحمد سلامة دار الثقافة العربية، القاهرة، ، (د: ط)، 2007م، ج1، ص335.

[17]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سبق، ص317.

[18]– تمام حسان، اللغة العربية، مرجع سبق، ص188– 189.

[19]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص4.

[20]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ، ص97.

[21]– المصدر السابق ص8.

[22]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ص6.

[23]– عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1968م، ص237.

[24]– تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها،عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2000م ، ص19.

[25]– الآية 4 من سورة المنافقون.

[26]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص309.

[27]– المصدر السابق، ص309.

[28]– تواني داية وآخرون، دراسة نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، والاستبدال عند نعوم تشو مسكي، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية، 2016م، ص13.

[29]– بو منصورة كاهنه ، تطور نظرية النظم بين الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمان ميرة– بجاية، 2018م، ص44.

[30]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق ص24.

[31]– المصدر السابق، 97.

[32]– عبد القادر المهيري، مساهمة في التعريق بآراء عبد القاهر الجرجاني، حوليات الجامعة التونسية، ع11، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1974م، ص108.

[33]– فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قتنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م، ص2155.

[34]– J. Dubois; Dictionnaire de Linguistique, La rousic Paris, 1973, P. 120- 121

[35]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص539.

[36]– المصدر السابق، ص539.

[37]– الخطابي، بيان إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص26.

[38]– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة الرياض/القاهرة ،(د: ب)، ط2، 1420هـ/ 1999م، ج6ص14.

[39]– تمام حسان، اللغة العربية، مرجع سابق، ص181

[40]– يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة– دار الثقافة ، مكة المكرمة،(د:ط) 1410هـ، ص29.

[41]– فراسواز أرمنكو، المقارنة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د: ب)، (د: ط)، (د: ت)، ص5.

[42]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربه لغوية تداولية، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م، ص4.

[43]– المرجع السابق، ص190.

[44]– الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، ، (د: ب)، (د: ط)، (د: ت)، مجلد1،ص146.

[45]– تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مرجع سبق، ص189.

[46]– المصدر السابق، ص181.

[48]– C. Korecchioni, lenonciation de La Subjectivite dans Le Langagey. Armand Colin, Paris. P185

[49]– عمر بلخير، التحليل المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003م، ص155.

[50]– خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية المؤسسة العربية للتوزيع، (د: ب)، الطبعة الأولى، 2001م، ص494.

[51]– المرجع السابق ص321.

[52]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص321.

[53]– المصدر السابق، ص312.

[54]– شهيدا هانم بنت محمد سوهاني ، إسهامات بعض أعلام البلاغيين السابقين حول دراسات النظم القرآني، مقالة:

September 2015– Universiti, Sultan ZainalAbidin, Malaysia Proceedings oFicic 201– International Conference on Empowering Islamic Civilization in the 21st Century rt SBN: 978– 967– 137005– 0– 6

[55]– محمد خلف الله ، رسالة بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف،القاهرة (د: ط)، (د: ت)، ص19

[56]– محمد خلف الله ، رسالة بيان إعجاز القرآن ص19.

[57]– المصدر السابق ص64.

[58]– محمد خلف الله ، رسالة بيان إعجاز القرآن ص24.

[59]– شهيدا هانم بنت محمد سوهاني ،إسهامات بعض أعلام البلاغيين ، مرجع سابق، ص785.

[60]– محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1398هـ – 1978م، ص31.

[61]– المصدر السابق ص31.

[62]– شهيدا هانم بنت محمد سوهاني، إسهامات بعض أعلام البلاغيين ، مرجع سبق، ص758

[63]– محمد عبد العزيز الحناوي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م، ص212– 213.

[64]– الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م، ص76.

[65]– المرجع السابق ص60.

[66]– الباقلاني، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص53.

[67]– المصدر السابق، ص54– 63.

[68]– فتحي أحمد عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، (د: ط)، (د: ت)، ص163.

[69]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص81.

[70]– المصدر السابق، ص57.

[71]– الجرجاني، دلائل الإعجاز مصدر سابق، ص127.

[72]– المصدر السابق، ص357.

[73]– المصدر السابق، ص102.

[74]– فتحي أحمد عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، مرجع سابق، ص142– 13.

[75]– شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف– القاهرة، الطبعة السادسة، (د: ت)، ص167.

[76]– شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ مرجع سابق، ص182.

[77]– أحمد بدوي طبانة، البيان العربي، مرجع سابق، ص258.

[78]– شهيدا هانم بنت محمد، إسهامات بعض أعلام البلاغيين مرجع سابق ص767– 768.

[79]– الزمخشري هو: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن الخوارزمي، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة والبيان. ولد بزمخشر من إقليم خوارزم الفارسي سنة 467هـ ، حيث كان مذهب الاعتزال لا يزال مزدهراً، فكان طبيعياً أن يعتنقه، وأقبل على دراسة العلوم اللغوية والدينية، ورحل كثيراً، فأقام بغداد مدة، وجاور بمكة طويلا، وبها أملى تفسيره "الكشاف"، انظر: المصدر السابق، ص768.

[80]– أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، (د: ت)، ص202.

[81]– الآية 13 من سورة هود.

[82]– الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث– القاهرة، الطبعة الثالثة، 1407هـ/ 1987م، ج2، 383.

[83]– الآية 23 من سورة البقرة.

[84]– – الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص129.

[85]– عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة، مكتبة جامعة الأزهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، (د: ت)، ص47. انظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، لمصطفى الصاوي الجويني، ص217– 218.

[86]– الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج3، ص23.

[87]– أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، العامة ، مرجع سابق، ص195.

[88]– شهيدا هانم بنت محمد سوهاني، إسهامات بعض أعلام البلاغيين مرجع سابق، ص770.

[89]– شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، مرجع سابق، ص243.

[90]– شهيدا هانم بنت محمد سوهاني، ص771.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب العربية:

1- أحمد محمد الحوفي، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، (د: ت).

2-
الباقلاني، أبوبكر محمد بن الطيب، الإعجاز القرآن، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/ 1988م.

3- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الرابعة، 2000م،
أحمد بدوي طبانة، البيان العربي (دراسة في تطوّر الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى)، مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى، 1388/ 19968م.

4- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مجلد1، (د: ب)، (د: ط)، (د: ت).

5- حمادي صمو، التفكير البلاغي عند العرب، دار الطباعة تونس، (د: ط)، 1981م.

6- الحناوي، المحمد عبد العزيز الحناوي، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

7- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية المؤسسة العربية للتوزيع، (د: ب)، الطبعة الأولى، 2001م.

8- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث- مصر، الطبعة الثالثة، 1407هـ/ 1987م، الجزء الثاني.

9- سفيان عيساوية، مصطلح التعليق في الدرس اللغوي القديم- عبد القاهر الجرجاني أنموذجا- رسالة الماجستير، مقدمة لكلية اللغة والآداب، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان،1437هـ- 2016م.

9- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف- القاهرة، الطبعة السادسة، (د: ت).

10- شيخون، محمود السيد شيخون، الإعجاز في نظم القرآن، مكتبة الكليات الأزهريات، الطبعة الأولى، 1398هـ/ 1978م،

11- عبد القادر المهيري، مساهمة في التعريق بآراء عبد القاهر الجرجاني، حوليات الجامعة التونسية، ع11، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1974م

12- عبد القادر حسين، المحتصر في تاريخ البلاغة، مكتبة جامعة الأزهر ي بالقاهرة- مصر، الطبعة الأولى، (د: ت).

13- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر-جدة: مطبعة المدني، مصر- الطبعة الثالثة، 1413هـ/ 2002م.

14- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربه لغوية تداولية، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

15 عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي غرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الثانية، 1968م.

16- عمر بلخير، التحليل المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003م.

17- فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قتنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.

18- فتحي أحمد عامر، بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ، نشأة المعارف بالإسكندرية- مصر، (د: ط)، (د: ت).

19- فراسواز أرمنكو، المقارنة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي (د: ب)، (د: ط)، (د: ت).

20- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،القاهرة (د: ب)، ط2، 1420هـ/ 1999م ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة،القاهرة (د: ب)، ط2، 1420هـ/ 1999م

21- محمد خلف الله وأخرون، رسالة بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، دار المعارف، مصر (د: ط)، (د: ت).

22- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة- دار الثقافة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1410هـ.

ثالثاً الكتب الأجنبية:

1-J. Dubois; Dictionnaire de Linguistique, La rousic Paris, 1973, P. 120- 121

2-C. Korecchioni, lenonciation de La Subjectivite dans Le Langagey.Armand Colin, Paris. P185.

رابعاً: الدواوين:

1- بشار بن برد، ديوانه، دار الثقافة العربية، القاهرة، (د: ط)، 2007م، الجزء الأول.
2- عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي_ لبنان، ط2، 1996م، الجزء الأول.

خامسا: الرسائل الجامعية:

1- بو منصورة كاهنه والأخرون، تطور نظرية النظم بين الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية الآداب واللغات ، جامعة عبد الرحمن ميرة- بجاية، 2018م.
2- تواني داية وأخرون، دراسة نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، واستبدال عند نعوم تشو مسكي، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية، 2016م.
3- سفيان عيساوية، مصطلح التعليق في الدرس اللغوي القديم- عبد القاهر الجرجاني أنموذجا- رسالة ماجستير، مقدمة لكلية اللغة والآداب، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان،1437هـ- 2016م.

سادساً: المجلات العلمية:

1- شهيدا هانم بنت محمد سوهاني ، إسهامات بعض أعلام البلاغيين السابقين حول دراسات النظم القرآني، مقالة:

September 2015- Universiti, Sultan ZainalAbidin, Malaysia
Proceedings oFicic 201- International Conference on
Empowering Islamic Civilization
in the 21st Century rt SBN: 978- 967- 137005- 0- 6